الخطاب الديني في الجزائر ومحاربة التطرف

The religious discourse in Algeria and the fight against extremism

شويني علي *
جامعة 8 ماي 1945 قالمة - الجزائر-
chouiniali21061987@gmail.com
بدة فوزية
جامعة 8 ماي 1945 قالمة – الجزائر
beddafouzia@gmail.com

تاريخ الاستلام 2022/06/24 تاريخ القبول 2023/01/09

الملخص

لقد شهد الخطاب الديني بالجزائر مخاطر عسيرة نتيجة ما تشهده الساحة العالمية والوطنية، في ظل تزايد ظاهرة التطرف والغلو، وكذلك نتيجة وجود حراك الاجتماعي للشارع كون أن هذا الأخير فرصة مواتية لبث أفكارهم الايديولوجية بهدف إيجاد حالة من الفوضى وإحلال الفتن والفرقة بين أبناء الوطن الواحد، وهذا راجع الى عدم وجود الفاعلية على مستوى الخطاب الديني والمسجدي عموما، باعتباره أنه أصبح شبه جامد ولا يتحرك إلا قليلا.

تفرض الضرورة اليوم إعادة بعث الخطاب الديني في الجزائر من أجل محاربة الإرهاب والتطرف العنيف، ونبذ كل الإيديولوجيات التي تخالف التوجه العام للدولة، والمذهب القائم، فالخطاب الديني ينبغي عليه أن يكون خطابا معالجا للمقتضيات الواقع والانتماء ورصد الحلول والمشاكل التي يعاني منها المجتمع فالخطاب الديني بالجزائر أصبح يتعرض لمحاولات اختراق عديدة من بعض الجهات التي تحاول إفساد المجتمع الجزائري وبالضبط مذهبه المالكي في ظل كثرة التيارات الجارفة.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الديني ، العنف ، الحوار ، الارهاب ، المذهب المالكي.

Abstract:

The religious discourse in Algeria has witnessed serious dangers as a result of what is happening at global and national levels, in light of the increasing extremism phenomenon, as well as the presence of the social mobility of the street, since the latter has a favorable opportunity to spread their ideological ideas in order to create

chaos and to produce strife and division among the people of one nation. This is due to the lack of effectiveness at the level of religious and mosque discourse in general, as it has become almost stiff and stagnant.
The necessity today requires the re-establishment of religious discourse in Algeria in order to fight terrorism and violent extremism, and to reject all the ideologies that contradict the general orientation of the state and the existing doctrine. The required religious discourse is the one that addresses the requirements of reality and belonging, and monitors solutions and problems the community encounter. The religious discourse in Algeria has become subject to many penetration attempts by some parties trying to corrupt the Algerian society and exactly its Maliki doctrine, in light of the many sweeping currents.
***key words:-** Religious discourse , violence , dialogue , terrorism , Maliki doctrine.*
* المؤلف المرسل

مقدّمة:

لعل الباحث المتمرس والفاحص في المرجعية الدينية الجزائرية يقف على تراث إسلامي زاخر يشكل حاجزاً أمام جميع الإيديولوجيا المخالفة للمجتمع والأمة والوحدة الوطنية، فيكون الخطاب من خلال هذا التراث متميزاً بالاعتدال والتوسط، بعيدا عن كل الآراء التي تهدم كيان الأمة الإسلامية، فإذا كان الخطاب الديني هو الإسلام عينه، إنما يراد به مدى توافق عقول الناس مع النقل، فإن القصور في الخطاب الإسلامي لا يعني القصور في الإسلام نفسه، وإنما المشكلة تكمن في إخفاق المسلمين في ترجمة هذا الدستور الشامل إلى واقع ملموس، مما يؤدي إلى ظهور بعض السلوكيات والمفاهيم الخاطئة وينتج ما يسمي بالتطرف والتعصب. هذا الأخير يرتبط بما هو غير متعارف عليه سواء على الصعيد السياسي أو الاجتماعي، وهو ما يناقض الاعتدال والتوسط، كون أن التطرف هو الخروج عن القيم والمعايير والعادات الشائعة في المجتمع، وتبني قيم ومعايير مخالفة للواقع المعاش.

على هذا الأساس لابد على الخطاب الديني أن يحمل في طياته التجديد وفق الرؤية المعاصرة لمتطلبات الراهن وما ينتج عنه من تغير على مستوى الذهنيات والمناهج والمفاهيم، وهو الذي يُمَكّن من دَحْض كل التصورات التي تتنافى مع الشريعة والسنة المطهرة بالإضافة إلى المرجعية الوطنية التي تمثل الكيان الثابت. هذا التراث والمرجعية الدينية الوطنية، تغني عن أي إيديولوجيا مخالفة، فلا بد من أن تكون مرجعيتنا وتراثنا كفيلين بتوجيه الخطاب الديني إلى بر الأمان ومحاربة التطرف بكل أشكاله.

وبذلك نطرح الإشكال التالي: كيف يمكن للمرجعية الدينية الجزائرية من توجيه الخطاب الديني ومحاربة التطرف بكل أشكاله؟ تجذر عن هذه الاشكالية مجموعة من الأسئلة المحورية: ما هو الثراء

التي تتمتع به المرجعية الوطنية من أجل بناء خطاب ديني متميز بالاعتدال والوسطية؟ كيف يواجه الخطاب الديني مشكلة التطرف؟ وماهي الحلول اللازمة لمحاربة ذلك؟

1- مفهوم الخطاب:

ورد في لسان العرب في مادة (خطب): "إن الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً وهما يتخاطبان، والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذي شأن"[1] أما بالنسبة إلى قاموس المحيط فلفظ الخطاب يفيد " الكلام المنثور المسجوع ونحوه"[2]. وفي (أساس البلاغة) "للزمخشري"، نجد الخطاب هو "المواجهة بالكلام واختطب القوم فلاناً، إذا توجهوا إليه بخطاب"[3].

2- مفهوم الخطاب اصطلاحا:

إن كلمة الخطاب لا يمكن حصرها في معنى واحد، لأن لها تاريخاً معقداً وحافلاً بالاستعمالات المختلفة، بحيث يمكن القول أن الخطاب هو " كل كلام تجاوز الجملة سواء كان مكتوباً أو ملفوظا"[4]. ويفهم من هذا التعريف أن مسألة الخطاب تصدق على الكلام سواء كان شفوياً أو مكتوباً، إلا أن التطور النقدي المعاصر يميز بين ما هو مكتوب وبين ما هو ملفوظ وهذا ما نجده عند بنفنيست (E, Benvenist)، وهناك من عرف الخطاب "بأنَّه لون من ألوان القول يحشد به الخطيب من الأسباب ما يمكنه التأثير على سامعيه وجذبهم بما يسوق من الحجج والبراهين المقنعة"[5]. أما الفيلسوف الفرنسي مشال فوكو فقد عرَّف الخطاب بأنه "شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية، التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب ينطوي على الهيمنة والمخاطرة"[6]. كما أن "الخطاب رسالة ذات هدف ودلالة وهو الكلام المنطوق أو المكتوب الذي يمثل وجهة نظر محددة من الجهة التي توجه الخطاب ويفترض فيه التأثير في السامع أو القارئ مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف والملابسات التي صيغ فيها الخطاب بدلالة الزمان والمكان"[7]، فالخطاب يحمل دلالات متنوعة حسب السياق الذي يوضع فيه الكلام، وهو ما أدى بمصطلح الخطاب إلى ولوج عدة مجالات معرفية، فصار هناك الخطاب الأدبي، والخطاب الفلسفي، والخطاب العالمي لحقوق الإنسان، والخطاب الديني وهو محل النقاش في هذا الموضوع، فما هو مفهوم الخطاب الديني، وماهي أبرز أخلاقياته؟ وهل الخطاب الديني في الجزائر مؤسس على مرجعية وطنية؟ وكيف ساهم هذا الخطاب في نبذ العنف والتطرف ؟

3- مفهوم الخطاب الديني:

يقصد بالخطاب الديني من خلال الأحاديث" الكلام الموجه من قبل الرسول سواء الموجه للفرد أو للجماعة، والذي يحمل مضموناً ديناً وتربوياً، ذا طابع توجيهي وإرشادي، بما يحقق المصلحة العامة للخطاب في الدنيا والآخرة ويسهم في بناء شخصية سوية ومتوازية"[8].فكلام الرسول فهو بمثابة توجيه ومنهاج، غايته توجيه الناس وإرشادهم.

كما تدعوا الآية التالية الى التحلي بالحكمة وذلك في قوله تعالى[ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] (سورة النحل، الآية، 125).

حيث أمر الحبيب بدعوة الناس إلى الإسلام، بالحكمة والموعظة، وجدال الناس بالتي هي أحسن، وذلك لا يكون إلا بمخاطبتهم.

" فالخطاب الديني هو الإسلام عينه، إنما يراد به مدى توافق عقول الناس مع النقل، فإن القصور في الخطاب الإسلامي لا يعني القصور في الإسلام نفسه، فهناك فرق بين الدين الموحى، الرباني الشامل لنظام الحياة المتكاملة، وبين إخفاق المسلمين في ترجمة هذا الدستور الشامل إلى واقع ملموس، فمواكبة الخطاب الديني وتجديده لا يعني المس بالعقيدة الإسلامية، أو بثابت من ثوابت الإسلام أو الخروج عن أية قرآنية أو حديث صحيح"[9]. فالخطاب الديني مشروع حياة، وهو دستور شامل لمختلف الجوانب الدينية والاجتماعية.

فغاية الخطيب هو الدعوة الى تفعيل الخطاب الديني وبذلك يكون الخطاب الديني هو فهم الفقيه للإسلام وإيصال ذلك المفهوم في إطار نشاط دعوي أو إسلامي، إلا أنه تجدر الإشارة إلى أمر في غاية الأهمية؛ وهي أن الخطاب الديني السائد في عصرنا هو الخطاب الإعلامي الديني لحتمية وسائل التكنولوجيا وسلطة الإعلام"[10]. وعلى هذا الإساس ساهم الاعلام في تفعيل الكثير من الطرق والمناهج لنشر قيم الدين الإسلامي في إطار دعوي يخدم الأمة ويحافظ على البعد القيمي للمجتمع وفق المذهب السائد، وعليه ينبغي أن يكون "الخطاب الصادر من أجل الاجتهاد ينبغي أن نعلم أنه ليس بالضرورة يمثل شرع اللّه وإنما يكون كذلك إذا ظهر من الكتاب والسنة والإجماع أو القياس الجلي، وما عدا ذلك فهو لا يعدو أن يكون فهم العالم للشرع، وهذا الفهم قد يكون صوابا وقد يكون خطأً"[11].

4- ثراء المرجعية الدينية الجزائرية وبناء خطاب ديني معتدل:

من خلال جملة المفاهيم التي تم تحديدها فيما يخص الخطاب الديني في الجزائر هل يمكن القول أن هذا الخطاب يستند إلى المرجعية الدينية الوطنية؟ وهل هناك مرجعية دينية وطنية؟

للإجابة على هذا السؤال، ينبغي تأكيد الجواب من خلال مقولة الشيخ سيدي أبى قاسم محمد الحفناوي في كتابه "تعريف الخلف برجال السلف"، حيث يقول في مقدمة كتابه "فالظاهر أن القطر الجزائري قد اجتهد قديماً في طلب العلم بجميع أسبابه، وأتاه من سائر أبوابه، ووقف على معقوله ومنقوله، فتمكن من أصوله وفصوله، وكان لعلوم وقته جامعاً ولراياتها رافعاً، مثل أخويه المغربين الأقصى والأدنى، فظهر في الأقاليم بدوره، واشتهر في التاريخ قدره بعلماء بنوا في تأليفهم على أركان التحقيق وحصنوها بأسوار التدقيق، فكانوا في عصورهم نجوم اهتداء وأئمة إقتداء"[12]. انطلاقا

من هذا القول، يجب أن يوجه الخطاب الديني وفق هذه المرجعية مع مراعات التطور الراهن على المستوى العلمي وحتى على مستوى إعادة قراءة النصوص التي لابد أن تراهن الواقع بكل مطلباته، والمطلع على كتاب تاريخ الجزائر الثقافي للأستاذ الدكتور "أبو القاسم سعد اللّه" يرى كيف يبرز المرجعية الدينية الوطنية من خلال بعدين: البعد العقدي والبعد الفقهي، بحيث تمُثّل المرجعية الفقهية تراثاً رصيناً تَمثل في باب العقيدة والتوحيد، وقد اهتم علماء الجزائر بعلم التوحيد تأليفاً وتدريساً، وقد برزت ثلاثة مجالات وهي:

1- التأليف على الإبتداء: وقد تمثلت في الإمام محمد بن يوسف السنوسي (ت 895ه) صاحب كتاب " عقيدة أهل التوحيد والتسديد المخرج من ظلمات الجهل وربقة التقليد المرغمة أنف كل مبتدع عنيد" المعروف أو المشهور بـــ" العقيدة الكبري "الذي قال عنه أبو قاسم سعد اللّه "سيطرت مؤلفات محمد السنوسي سيطرة تامة على الدارسين لهذا العلم طيلة العهد العثماني ولم يكن ذلك مقصورا على الجزائر وحدها، بل تجاوزها إلى أعظم الأقطار العربية والإسلامية"[13] إلى غير ذلك من الشيوخ المبدعين في مجال العقيدة، ومنهم أيضا الشيخ يحي الشاوي المليانى (ت 1096هـ) الذي صنف أيضا من بين علماء التوحيد في الجزائر وقد ترك عدة كتب منها: "التحف الربانية في جواب الأسئلة اللمدانية" وكتاب " قرة العين في جمع البين" .... الخ.

2- النظم: قد شملت الكثير من المنظومات منها " المنظومة الجزائرية في علم التوحيد" لأحمد بن عبد اللّه الجزائري (ت 884 هـ) وهي قصيدة تقع على نحو 400 بيت، ومنظومة المراصد لابن زكري التلمساني (ت 889هـــ) وقد بلغت 1500 بيت، إلى غير ذلك مما كتب عظماء الجزائر.

3- الشروح والحواشي: وهي نمط من أنماط الكتابة منها شروح السنوسي "عمدة أهل التوفيق والتسديد في عقيدة أهل التوفيق وهي شرح مفصل للعقيدة الكبرى".

أما عن المرجعية الفقهية فتتمثل هذه المرجعية في كتابات العلماء الجزائرين في مجال الفقه وقد توزعت على ثلاثة مذاهب أساسية، المذهب المالكي، المذهب الاباضي، المذهب الحنفي الذي دخل إلى الجزائر مع الأتراك، لكن السيادة كانت للمذهب المالكي ومن أبرز الفقهاء الجزائرين" الونشريسي (ت 914 ه) صاحب كتاب"المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب"، وهو كتاب ضخم في فقه النوازل، وكتاب " إيضاح المسالك على قواعد الإمام مالك "حيث يقول عنه ابو القاسم سعد اللّه" لو درس الباحثون كتاب المعيار دراسة إجتماعية لخرجوا منه بكنز كبير في معرفة أحوال العصر وأحوال المجتمع المغربي عامة، بالإضافة إلى معرفة آراء المؤلف نفسه في محيطه وقضايا عصره. فنوازل البدع والإجازة في التعليم، والفتيا، وسماع الموسيقى، والتصوير، وحكم حلقات الذكر، وقضية القياس والموقف من التصوف ورجاله، ومن تقليد العلماء واستقلالهم، كلها أمور تستحق الاهتمام اليوم "[14]. وإلى جانب العلامة الونشريسي، يوجد

الشيخ والفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي(ت 909ه)، صاحب "شرح مختصر خليل، سماه مغني النبيل "، وكذلك محمد أبو راس المعسكري (ت 1238ه) بحيث كان عالما موسوعيا، نذكر من مؤلفاته "المدارك في ترتيب فقه الإمام مالك"، إلى جانب محمد بن محمد بن أبي القاسم الغربي الميلي القسنطيني، صاحب كتاب "الافتتاح من الملك الوهاب في شرح رسالة سيدنا عمر بن الخطاب"، فكل هذا التراث الجزائري وهذه المرجعية الدينية الوطنية، تغني عن أي إيديولجية مخالفة، لما رسمه هؤلاء الأعلام والشيوخ، فلا بد من أن تكون مرجعيتنا وتراثنا كفيلين بتوجيه الخطاب الديني إلى بر الأمان، وهي دعوة في الوقت نفسه إلى الوقوف على هذا التراث ودراسته بكل مخطوطاته والتعمق فيها من أجل دحض كل الأقوال التي تزعم بأن الجزائر تفتقد إلى مرجعية مؤسسة وإلى هوية دينية إسلامية ضاربة بجذورها في التاريخ الإسلامي. وقد صنعت المجد في أيام مضت، فلابد من إحيائها والبعث بها إلى العالمية وفق الخطاب الديني الممنهج الذي ينظر إلى الماضي وما خلف الأوائل، ورسم معالم مشرفة يستند إليها الخطاب الديني وينبذ كل تصور مخالف، فما وصلنا إليه من انحراف على مستوى المفاهيم هو كان لعدم الإدراك التام لهذه المرجعية التي تغني عن كل ماهو وارد إلينا ويهز كياننا الديني الرصين، الذي يمثل الانتماء إلى الأصالة الإسلامية. والتراث الجزائري يؤكد على البعث بالخطاب الديني إلى الاعتدال والتوسط ونبذ كل أشكال الانحراف والتعصب وكل الخطابات التي لا تنفع الأمة الوطنية وتجعلها تعيش في بوتقة الضلال والانعزال والنفور بين أبناء الوطن.

5- الخطاب الديني ومواجهة التطرف:

إنَّ الأزمة التي تواجه الأمة الإسلامية اليوم هي محاولة التملق بحقيقة الخطاب الديني والانسياق به وفق الأهواء -الجماعات الإرهابية مثلاً- فالضرورة اليوم تلح على تفعيل الخطاب الديني مع متطلبات العصر وتطوره. وهذا ما عبر عنه عمر عبيد حبيسة، حيث يقول: "وقد نكون اليوم أكثر من أي وقت مضى بحاجة إلى القيام بالمراجعة للخطاب الإسلامي في الدعوة والإعلام وخاصة في هذه المرحلة بالذات حيث السقوط الحضاري للمقولات العالمية التي كانت تشكل أمل الفقراء"[15]. ولعل المشكل الأساسي هو بروز ظاهرة التطرف والتعصب التي ظهرت بشكل جلي في المجتمعات الإسلامية وحتى الغربية منها، كون التطرف كمفهوم، ظهر في كل الحضارات. ولكن الذي يهمنا في هذا المقال هو مفهوم التطرف وكيف يعالج الخطاب الديني الممنهج وفق المرجعية الدينية الوطنية هذه الأزمة؟

إذا كان التدين هو الالتزام بأحكام الدين والسير وفق ما أمر به الشرع من أحكام وما حث عليه المصطفى من أقوال وأفعال، فمن هذا المنطق يكون التدين ظاهرة إيجابية، تعنى بنشر القيم والمبادئ الأخلاقية، والتي تستوجب إرشاد الناس إلى الغايات سواء على مستوى السلوك أو المعاملات. لكن التطرف هو عكس الالتزام الحقيقي فهو "الإغراق الشديد في الأخذ بظواهر النصوص الدينية،

على غير علم بمقاصدها وسوء الفهم لها، قد يصل بالمرء إلى درجة الغلو والمنكر للدين"[16] . وقد ورد في القرآن ما ينهي عن الغلو في الدين لقوله تعالى[قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ] (سورة المائدة، الآية 77.)

فالخطاب الديني الذي يحمل في طياته التجديد وفق الرؤية المعاصرة لمتطلبات الراهن وما ينتج عنه من تغير على مستوى الذهنيات والمناهج والمفاهيم، هو الذي يُمَكّن من دَحْض كل التصورات التي تتنافى مع الشريعة والسنة المطهرة بالإضافة إلى المرجعية الوطنية التي تمثل الكيان الثابت، أما عن مسألة التجديد في الخطاب الديني فإنه "لا يكون في الثوابت وأصول والعقيدة، فهذه مسائل غير قابلة للتجديد أو التغير، لأنها أركان يقوم عليها بيان الإسلام والشريعة، إنما لغته ومضمونه والمطالبة بأخذ كل ما هو جديد لمواكبة الواقع المعاصر والتغيرات والمستجدات المستمرة وما يحيط بها من تحديات"[17].

غير أن المعلوم أن الجزائر عانت ومازالت تعاني من مشكلة التطرف والتعصب من طرف بعض الجماعات التي تدعي أنها تملك الحقيقة، وهذا يتنافى مع النظام الذي ينبغي أن يسود ويحقق الأمن والاستقرار للوطن والأمة جمعاء. ولكن يجب التنبيه بأن "التطرف هو ظاهرة عالمية عابرة للدول تحت عناوين التعصب الديني والإرهاب، وبمضامين أخرى متنوعة كتغيير النظام السياسي وإسقاط الحكومات، وهي معضلة أرقت الكثير من الحكومات من دول العالم الثالث، فضلا عن الغرب الأوربي عندما أصبحت تمثل تهديداً حقيقياً للاستقرار الداخلي والأمن الوطني"[18]، لأن التعصب كما هو معروف، "نوع من الحماس الذي يدعوا إلى الغلو والاستملاك بالرأي، أو بموقف معين "[19]،
فهذا الأخير يشمل بالضرورة الخطاب الذي يهدف إلى التفرقة والعنف من بعض الجماعات التي لا تستند إلى أساس منطقي أو معرفي، ولا يمكن أن تملك الحقيقة العلمية التي تعتمد على مبدأ التحري من الكتاب والسنة والمرجعية الوطنية. فالتطرف كمفهوم يرتبط بما هو غير متعارف عليه سواء على الصعيد السياسي أو الاجتماعي، وهو ما يناقض الاعتدال والتوسط، كون أن التطرف هو" الخروج عن القيم والمعايير والعادات الشائعة في المجتمع، وتبني قيم ومعايير مخالفة للواقع المعاش"[20]. على هذا الأساس يجب أن يتماشى الخطاب الديني في الجزائر وفق المرجعية والرؤية الدينية الجزائرية المتعارف عليها والمتمثلة فيما تركه الأئمة والشيوخ الذين تبنوا منهجاً وسطاً معتدلاً يخدم الأمة ويقودها إلى بر الأمان، مع مواكبة التطور الحاصل على جميع المستويات بكل أشكالها وإنتمائاتها، "فالمتطرفون يرفضون كل رؤية متجددة من شأنها أن تحسن في المجتمع على اعتبار أن المعرفة الدينية هي اليقين والعلم المطلق"[21].

" فيرى المتطرف أن هدم المجتمع ومؤسساته، هو نوع من التقرب إلى الله وجهاد في سبيله، وذلك بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو لتحقيق المبادئ التي يؤمن بها الفرد أو الجماعة الدينية أو السياسة أو الفئوية، فإنه يخرج من حدود الفكر إلى نطاق الجريمة ويتحول إلى إرهابي". من هذا المنطلق يكون القصور في فهم محتوى الخطاب الديني يؤدي إلى مالا يحمد عقباه، "فالمتعصب لا يعترف برأي الآخرين. إن تعصب الشخص لفهمه ورأيه لا يسمح له برؤية مصالح الخلق، ولا مقاصد الشرع، ولا ظروف العصر، ولا يفتح نافذة الحوار والجدل مع الآخرين، فنراه دائماً ينكر الآراء المخالفة لوجهات النظر"[22]. لذلك ينبغي أن يكون الخطاب الديني وفق قواعد ومبادئ. ولعل من "أهم المبادئ الأخلاقية للخطاب الديني الموضوعي، عدم اللعب بمشاعر العامة بما يخدم ايديولوجيات معينة، تتخذ من الشريعة الاجتماعية وسيلة لتحقيق مآربها سواء على الصعيد السياسي أو الديني[23] "

على هذا الأساس" اقتضى الحال تأسيس إعلام ديني موضوعي متسامح يهدف إلى إشاعة المفاهيم الإنسانية المشتركة بين بني البشر جمعاء، والتي أكدت عليها الكتب السماوية السابقة، فضلاً عن خاتمها، القرآن الكريم، الذي أكد في مواطن كثيرة منه على أهمية الحوار. هذا الإعلام يجب أن يقوم على الحوار والإقناع بعيدا عن تحريف الحقائق وإضلال الجماهير"[24]، بحكم أن المتطرف يسقط في هاوية التكفير فلا يقتصر في تشدده على الآخرين فقط، بل على نفسه أيضاً. "ويبلغ التطرف غايته عندما يسقط عصمة الآخرين ويستبيح دمائهم وأموالهم، وذلك عندما يخوض المتطرف في لجّة التكفير واتهام الناس بالخروج عن الإسلام"[25] وهذا ما يناقض الواقع وسماحة الدين الإسلامي.

لكي يصب الإعلام الإسلامي في مصلحة الخطاب الديني إيجابياً وبصورة متوازنة، فإنه لابد من توافر جملة من الشروط:

- أن يكون الهدف سليماً صحيحاً، ويصب في مصلحة المجتمع والأمة.
- أن يساهم في تهدئة الأزمات التي تتعرض لها المجتمعات، سواء الأزمات الطائفية منها أو العرقية، أو غيرها ، ذلك أن الخطاب الإعلامي الديني يساهم، في حال أدائه دوراً سلبياً، بخلق حالة من التوتر والقلق النفسي لدى الأفراد والمجتمع، تحقيقاً لما يصبو إليه أعداؤه"[26].

6- شروط الخطاب الديني:

- أن يكون مخلصا ينبغي في ذلك الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى.
- أن يكون عالماً بالدين وأصوله.
- أن يمتلك الأسلوب المناسب والحكمة والموعظة الحسنة.
- أن يتحلى بالصبر والتحلى لما قد يواجه من مشاكل وعقبات.
- أن يكون رحيما بالناس.

- أن يكون قدوة حسنة وهي من أبلغ صوره التبليغ.[27]

7- الهوية الوطنية وتحديات الخطاب الديني:

يقتضي الخطاب الديني اليوم أن يتماشى مع مكونات الهوية الوطنية ومقتضيات المجتمع الجزائري والإسلامي بصفة عامة كون أن التجديد في "الخطاب الِّديني لا يعني التّحول عن أصول الدِّين وفروعه بل بإحيائه وإعادة الحيوية إلى ثوابته بتطبيق أحكامه القطعية في جميع مجالات حياة النّاس وشؤونهم الخاصة والعاّمة أجمعت عليها الأّمة واستقّر بها الفقه والعمل، وهذه الثّوابت والأصول لا ينبغي للخطاب الاسلامي المعاصر أن يتجاوزها أو يفِّرط فيها، وله أن يتحّرك ويتجّدد في إطار هذه الثّوابت فإذا انحرف هذا الخطاب عن جادته أصبح خطابًا سلبيًّا لا يتحمل الإسلام تبعاته وأخطاه"[28].

فالهوية الوطنية الجزائرية بكل تشكلاتها - الدين، اللغة- وعبر مراحلها تدعوا الى الحفاظ على مبدأ الدين الإسلامي الداع الى الإخاء والمحبة والإنسانية في إبعادها الواقعية، الفاحص في تاريخ أعلام الجزائر فإنه يستكشف قيمة الإسلام في الجزائر وهذا حسب مقولة الشيخ سيدي أبى قاسم محمد الحفناوي في كتابه "تعريف الخلف برجال السلف"، حيث يقول في مقدمة كتابه "فالظاهر أن القطر الجزائري قد اجتهد قديماً في طلب العلم بجميع أسبابه" ويمكن النظر في كتاب تاريخ الجزائر الثقافي للأستاذ الدكتور "أبو القاسم سعد اللّه" حيث يحاول من خلال هذا الباب أن يبرز المرجعية الدينية الوطنية من خلال: البعد العقدي والبعد الفقهي ويذكر من خلاله أعلام الجزائر والتراث الفكري والعقدي الذي ألفوه، وعليه إن الخطاب الديني لابد أن يتماشى مع مقومات الهوية الوطنية التي تدعوا الى الحفاظ على استقرار الأمة والذود عنها من خلال كل فكر متطرف خارج عن سياقات الهوية الوطنية، "لذلك فالواجب على صاحب الخطاب الِّديني أن يكون متيِّقظا لمعاني الخطاب التي يفهمها المخاطبون، بتقييد ما يحتاج إلى تقييد وتخصيص ما يحتاج إلى تخصيص، مثلا: عند تحديد موقف شرعي أن يفصل الحكم فيها بنا على تنُّوعها ولا يعطي المعاني المختلفة حكماً واحداً "[29]

8- الحلول اللازم للحد من التطرف الديني:

من بين الحلول التي تساهم في الحد من التطرف الديني:

-"فتح قنوات مباشرة للحوار الديني والثقافي مع المختلف عنا بوصف أن هذا الحوار ضرورة ملحة، ولا رفاهية فكرية كما يظن البعض... لذلك ينبغي أن يكون الحوار مستمراً فعالاً، يقوم على تعزيز الوسطية في الدين، وتوظيف المفاهيم المشتركة التي تجمع بين الأديان السماوية في الإطار الإنساني والتعاون على البر والتقوى"[30]

- أما على الصعيد العملي، "يجب تفعيل الآليات التي تنقل الحوار الديني من الشعارات النظرية إلى حيز الممارسة والتطبيق العملي، حتي يصبح هذا الحوار واقعاً معيشاً يشعر به رجل الشارع، ويلمسه كل مواطن في مجتمعه... ولا يتأتى ذلك إلا بإقامة مؤتمرات ودوريات تدريبية وورشات عمل على

أساس الاعتراف بعقائد الآخرين، واحترام الكرامة الانسانية. علاوة على ذلك، تحتاج مجتمعاتنا إلى دعم وترسيخ قيم التسامح الديني والمواطنة، ومناهضة التعصب والعنف، وهذا لا يتم إلا بتعليم ثقافة الحوار وغرسها في نفوس الاجيال الناشئة"[31].

- مراعاة التنشئة الاجتماعية السليمة كمنظومة متكاملة تؤدي فيها الأسرة دورها المنوط بها، كما ينبغي التأكيد على تكامل أدوار المرجعيات الدينية، والمؤسسات الاجتماعية ذات الصلة في توحيد الخطاب الديني في نبذ العنف بكل اشكاله[32].

- إعطاء الاستقلالية الكاملة للمرجعيات الدينية، حتى تكون قادرة على ممارسة دورها بفاعلية في التوعية والتثقيف الديني والتصدي لبعض مظاهر الفهم الخاطئ للدين[33].

- نشر ثقافة الاعتدال والتوسط في الدين، ورصد وتجميع التعاليم التي ترفض التطرف الديني وللعنف وتعزيز ثقافة الخيرية، وصوغ المناهج التربوية والتعليمية والتدريبية على أساس مقاصد الشريعة[34].

الخاتمة:

في الختام يمكن الخروج بجملة من التوصيات والنتائج الهامة، منها:

-العمل على إحياء التراث والمرجعيات الدينية الوطنية، حتى تكون قادرة على ممارسة دورها بفاعلية وذلك بتشجيع أهل الاختصاص والطلبة والباحثين.

-جعل الخطاب الديني مقتصراً على أهل الاختصاص والمجال ممن يمثلون الصورة الحقيقية للإسلام .

-تعاون المؤسسات الدينية والعلمية والتعليمية والتربوية والفكرية والثقافية والفنية والإعلامية على إنتاج خطاب ديني يتناسب مع ظروف العصر.

-تأسيس إعلام ديني موضوعي متسامح يهدف إلى إشاعة المفاهيم الإنسانية المشتركة بين بني البشر.

-الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني من أوسع مجالاته.

- محاربة التطرف بكل أشكاله.

الهوامش:

[1] - ابن منظور، لسان العرب، مج1، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1994، ص 361

[2] - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دط، دار للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، 1990، ص 76.

[3] - الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص 176

[4] - سعد البازغي وميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط2، 2002، ص 99.

[5] - علي عبد الحليم محمود ، فقه الدعوة الى اللّه (دار الوفاء للنشر والتوزيع ، (د/ط) ، (د/ س)، ص 169

[6] - سعد البازغي وميجان الرويلي ، دليل الناقد الأدبي، المرجع نفسه، ص 89.

[7] - سعيد إسماعيل علي، الخطاب التربوي، مركز البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية،سلسلة كتب الأمة (100)، قطر، ط1 ،(د/س)، ص9.

[8] - ابو دف محمود خليل، جودة الخطاب الديني وسماته، جمعية القدس للدرسات والبحوث الاسلامية، غزة، فلسطين، 2010،ص 8

[9] - أحمد محمد خليل، تحديات الخطاب الديني في ظل التحولات المجتمعية والدولية الراهنية، المملكة الأردنية الهاشمية، (د/ط)، (د/س)، ص 04.

[10] - مجموعة من الباحثين، الحوار الديني وقضايا التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، مركز البحث في العلوم الإسلامية و الحضارة ، الأغواط، الجزائر، ط1، 2017، ص 221.

[11] - المرجع نفسه، ص 221.

[12] - ابي قاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة ييرفونتانة الشرقية في الجزائر، (د/ط)، 1906، ص 01.

[13] - ابو قاسم سعد اللّه، تاريخ الجزائر الثقافي،ج2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 97.

[14] - ابو قاسم سعد اللّه، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ص 128.

[15] - عمر عبيد حبيسة، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1998، ص 47.

[16] - حسن عبد الحميد أحمد رشوان، التطرف والارهاب من منظور علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 1997، ص 15.

[17] - مجموعة من الباحثين، الحوار الديني وقضايا التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، المرجع السابق، ص 221 وأنظر أيضا: صفات سلامة، الخطاب الديني ومتطلبات الوقع العربي المعاصر، مقال جريدة الشرق الأوسط، عدد 11935، أوت 2011.

[18] - أبكر عبد البنات آدم، طاعون العصر.. التطرف الديني(أسبابه – نتائجة – علاجه)، المجلة الليبية العالمية، العدد 13، جانفي 2017، ص 08.

[19] - معجم العلوم الإجتماعية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، (د/س)، (د/ط)، ص 160.

[20] - أبكر عبد البنات آدم، طاعون العصر.. التطرف الديني(أسبابه – نتائجة – علاجه)، ص 05.

[21] - المرجع نفسه ، ص 07

[22] - أبكر عبد البنات آدم، طاعون العصر.. التطرف الديني(أسبابه – نتائجة – علاجه)، ص 16.

[23] - مجموعة من الباحثين، الحوار الديني وقضايا التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، المرجع السابق، ص 221.

[24] - المرجع نفسه، ص 222

[25] - أبكر عبد البنات آدم، طاعون العصر.. التطرف الديني(أسبابه – نتائجة – علاجه)، ص 19.

[26] - مجموعة من الباحثين، الحوار الديني وقضايا التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، المرجع السابق، ص 222

[27] - المرجع نفسه، ص 223

[28] - زيد مليكة، مفهوم الخطاب الديني المعاصر وضوابطه، محلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية ، المجلد 04، العدد01 ، 01، جوان2020، ص 511.

[29] - بتصرف: عياض بن نامي السلمي ،بحث في تجديد الخطاب الديني مفهومه وضوابطه ،جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ،د، ت، ص 29.

[30] - أبكر عبد البنات آدم، طاعون العصر.. التطرف الديني(أسبابه – نتائجة – علاجه)، ص 21.

[31] - المرجع نفسه، ص 21.

[32] - أبكر عبد البنات آدم، طاعون العصر.. التطرف الديني(أسبابه – نتائجة – علاجه)، ص 21

[33] - المرجع نفسه، ص 21.

[34] - المرجع نفسه، ص 21.